الآداب
المجلد: 25، العدد: 01، ديسمبر 2025
الصفحات: 213 – 228
ISSN 1111 – 4908 EISSN 2588 – 2228

المقدس والمدنس في الرواية الصوفية لإليف شافاك: قواعد العشق الأربعون نموذجا

The Sacred and the Profane in Elif Shafak's Sufi Novel: The Forty Rules of Love as a Case Study

د. زينب عبد العزيز [1]

[1] جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة – الجزائر، abdelaziz.zineb@univ-emir.dz

تاريخ الإرسال: 2025/08/12 تاريخ القبول: 2025/11/28 تاريخ النشر: 2025/12/11

ملخص:

تعدّ الروائية التركية إليف شافاك أديبة صوفية، تكتب في الدفاع عن حقوق الأقليات والمهمشين الذين يثيرون حولهم تساؤلات ونقاشات عديدة، لذلك ركزنا في هذا المقال على استخراج بعض من سيميائية هذه الرواية محاولين في ذلك سبر ثنائية المقدس والمدنس من خلال استخراج سمات وطابع الشخصيات الرئيسية والثانوية في هذه الرواية. وقد خرجنا بنتائج أهمها أن رواية قواعد العشق الأربعون تحوي على تمازج بين المقدس والمدنس بحيث يصعب الفصل والتمييز بينهما، غير أن جانب المدنس يغلب، من قبيل استحضار الجانب اليهودي وتقديمه في قالب استعطافي.

كلمات مفتاحية: *التصوف؛ العشق؛ الحرية؛ الأقليات؛ إليف شافاك.*

Abstract:

The Turkish novelist Elif Shafak is regarded as a Sufi writer who advocates for minority rights and marginalized groups, prompting many questions and debates. In this article, we analyze the semiotics of this novel, exploring the duality of the sacred and the profane by examining the traits and characteristics of the primary and secondary characters. We reached several conclusions, the most important being that *The Forty Rules of Love* intermingles the sacred and the profane to such an extent that distinguishing between them becomes difficult; however, the profane aspect, such as the Jewish element, is more prominent and presented in an empathetic manner.

Keywords: *Sufism; love; freedom; minorities; Elif Shafak.*

المؤلف المراسل: زينب عبد العزيز.

مقدمة:

إن العلاقة التي تربط بين الروائي والطابوهات المختلفة علاقة معقدة، خصوصا إذا ما كان الروائي محسوبا على الإسلام بشكل ما، وكيف إذا كان هذا الروائي صوفيا؟

لذلك؛ إذا ما أردنا دراسة هذا الخطاب وتحليله عندهم، فإننا قد نجده مختلفا أسلوبيا أو مضامينيا أو توظيفيا، وقد يشترك في بعده التسامحي والداعي إلى الحرية، لكن هذه الحرية التي يدعو إليها بعضهم قد تكون ذات نتائج لا تحمد عقباها وهذا الذي نودّ التركيز عليه في هذا المقال من خلال راوية قواعد العشق الأربعون للكاتبة والروائية التركية "إليف شافاك" والتي تعدّ إحدى المساهمات الفاعلات في الأدب التركي الحديث خصوصا ما تعلّق بالسياسة والدفاع عن مجتمع الميم والمساواة بين الجنسين[1]، وإشكاليتنا الرئيسة فيه هي: ما هي تمظهرات وتجليات ثنائية المقدس والمدنس في رواية قواعد العشق الأربعون؟

وقد سلكنا في ذلك توليفة بين المنهج السيميائي والمنهج الوصفي بآليتي الاستقراء والتحليل والتأويل، وذلك بغية إجراء مسحي تأويلي لتجليات الخطاب الصوفي بثنائيتيه المتناقضتين (المقدس/المدنس) في رواية قواعد العشق الأربعون.

ولعل من أهم الأهداف التي نروم الوصول إليها:

- إبراز أن البعد التصوفي طاغي على أعمال إليف، لأنها تنطلق من ذاتها المتصوفة.
- ثنائية المقدس والمدنس في رواية قواعد العشق الأربعون ظاهرة بشكل كبيرة.
- شخصيات الرواية مليئة بالمتناقضات التي تتراوح في تدرجات الذنب والخطيئة والشر، والخير والطيبة والعشق.

وقد سلكنا في ذلك خطة من ثلاثة محاور أولها التعريف بإليف شافاك وروايتها. والثاني تجليات المقدس والمدنس في الرواية: قراءة خارجية. والثالث تجليات المقدس والمدنس في الرواية: قراءة داخلية.

1.إليف شافاك: سيرتها وروايتها

1.1 التعريف بإليف شافاك:

Elif Shafak كاتبة وروائية تركية ولدت في مدينة ستراسبورغ سنة 1971، عاشت حياتها رفقة أمها المطلقة. حازت على شهادة الماجستير في الدراسات النسوية، والدكتوراه في العلوم السياسية. سافرت إليف لعديد البلدان لطبيعة عمل والدتها الدبلوماسي، لذلك كانت مهتمة بصنوف المعارف الإنسانية، مع لمسات

تركية، تبرز في مؤلفاتها ومقالاتها ورواياتها[2]. والبعد المحوري الذي يظهر في أعمالها خصوصا الروائية هو البعد الصوفي، والذي قالت عنه: "الصوفية مصدر إلهامي، منذ روايتي الأولى «بينهان». والقرّاء الذين تابعوني منذ بدايتي، يعرفون ذلك جيدا. أنا قرأت كثيراً، ودرست التصوُّف جيدا، وعندما تصوَّفت وجدت أن هناك نافذة جديدة تماماً قد فُتحت في عقلي وقلبي، ورأيت الحياة بمنظور مختلف، ولم أنحَزْ إلى الصوفية، بل صارت جزءاً من قلبي وروحي. ليتنا جميعاً نهرب من الواقع إلى التصوُّف؛ فهذا مذاق خاصّ، لا يعرفه إلا المتصوِّفون"[3].

لكن هذا التصوف ذو توجّه مشتبه فيه، يمكن أن نميّزه من خلال محاولتها لجس النبض التركي عن قضية مدنسة، قالت فيها: "كتبتُ عن الحرم الجامعي، بما فيه من سناجب وسحاقيات، في صحيفةٍ تركية واسعة الانتشار ومعروفة باتجاهها المحافظ. ومن الطبيعي إذن أن تجيء ردود الفعل متباينةً. وعلى الرغم من أنّ الثقافة التركيّة لا تتضمن طبقاً واحدا يُحضّرُ من السناجب، فقد انتابت الدهشةُ قُرائي في تركيا _على ما يبدو_ من حقيقة أن لا أحد يصطاد السناجب لطبخها هناك! أكثر من دهشتهم لمشهد سير السحاقيات مشتبكات الأيدي اثنتين اثنتين، وقد استبشرتُ بذلك وأخذته كعلامة تقدّم ثقافيّ في الوطن"[4]. فالشذوذ عندها من علامات التقدم الثقافي للمجتمعات!، وقد جندت قلمها لكتب وتدافع عنه، بل إن الآخر الذي "لطالما شكّل محور أعمالها ومواقفها. الأقليّات بالانتماءات أو بالميول؛ المنسيّون والمقموعون والهامشيّون وكل مَن "هم ليسوا في المركز"؛ أولئك الذين تغنّت إليف طويلاً بمساندتها لهم، تُعلن اليوم أنها منهم"[5]. وهذا في خطاب لها على منصة TED، حيث صرّحت: "لقد كنت دائما صريحة جدا وأكتب كثيرا عن حقوق الأقليات، حقوق المرأة، حقوق المثليين، لكن كنت أفكر كثيرا في هذا الحديث، وأدركت حقيقة واحدة، لم أمتلك الشجاعة أبدا لأقول في مكان عام أنني مثلية Bisexual، لأنني أخاف من القذف ووصمة العار والسخرية والكراهية التي تتبعها بالتأكيد. ولكن بالطبع لا ينبغي أبدا للمرء أن يبقى صامتا خوفا من التعقيد"[6]، بل وعدّت واحدة من بين أفضل 20 كاتبا من كتاب مجتمع الميم لعام 2022[7].

2.1التعريف برواية قواعد العشق الأربعون:

رحلة إليف مع التصوف بدأت حينما كانت في المرحلة الجامعية أين كانت فتاة ثائرة تحمل على كتفها عدّة أيديولوجيات ليس الدين إحداها بل العدمية واللا أدرية، فقالت: "من بين كلّ الصوفيين الذين قرأتهم، شعراء وفلاسفة، خلال تلك السنوات، اثنان منهم فقط حرّكاني من العمق: جلال الدين الرومي ورفيقه الروحي، الأسطورة شمس الدين التبريزي. عاشا في القرن الثالث عشر في بلاد الأناضول، في فترة زمنية مشروخة

بالثنائيات ومزدحمة بالتصادمات، وفقا لترسيخ روح كونية، فاتحين أبوابهما للناس من كل الخلفيات الثقافية. تكلّما عن الحب كجوهر للحياة، فلسفتهما الكونية ربطت الناس جميعا عبر المعمورة، من كل الثقافات والمدن. حين كنت أقرأ "المثنوي" كانت كلمات جلال الدين الرومي تخلع الأيديولوجيات التي وضعتها على كتفي شالا شالا... فهمت أنني مهما كان الذي اخترتُ أن أكونه في حياتي، يسارية أم نسوية أم أي شيء آخر، فإنني لا أحتاج إلى غير الاتصال الحميم بالضوء الذي في داخلي. ضوء الحقيقة الموجود داخلنا جميعا"[8].

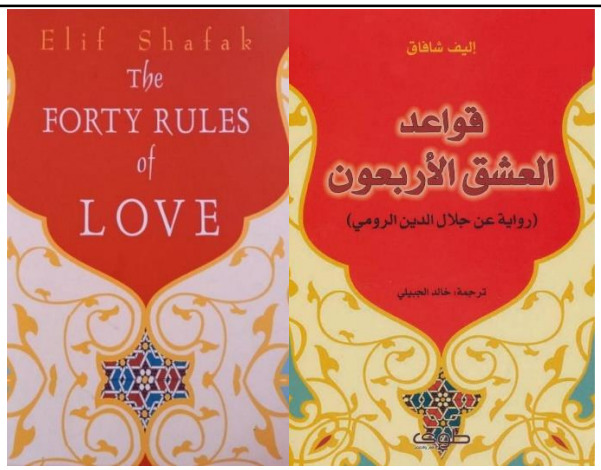
هذا الإعجاب الكبير بالرومي وشمس وصل إلى ذروة تعبيره الفني في روايتها "قواعد العشق الأربعون"[9]، الذي نشرته عام 2010، أين سارت هذه الرواية "في مسارين زمنيين مختلفين، ولكنهما متوازيان، الأول في القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري)، وفيه تفاصيل اللقاء الروحي بين (شمس الدين التبريزي) و(جلال الدين الرومي) عن طريق ما يُطلق عليه (محكي التاريخ) بمساعدة تقنية: (الرواية داخل الرواية)، إذ سُرِد هذا اللقاء بواسطة مخطوط رواية (الكفر الحلو). أما المسار الثاني فقد كان في عام 2008م وحكى قصة (إيلا) الأمريكية مع (عزيز) كاتب الرواية آنفة الذكر، التي قامت (إيلا) بمراجعتها لصالح إحدى دور النشر"[10].

فالرواية إذا يتجاذبها الحاضر الحديث والماضي البعيد الذي يشترك في المشاحنات والتعصبات الدينية، أين كانت اليهودية إيلا والصوفي المسلم عزيز، ثم أحداث الرواية التي جمعت المسيحية والمسلم المتعصب والشحاذ والقاتل وشارب الخمر والمومس، والذي يجمعهم هو نظرتهم المختلفة عن الرب، سواء أكانوا ينتظرون منه الرحمة أو الحب، أو إنزال شديد العذاب بهم أم على غيرهم.

2.تجليات المقدس والمدنس في الرواية: قراءة خارجية

1.2سيميائية غلاف الرواية:

نشرت الرواية لأول مرة باللغة الإنجليزية ثم ترجمت إلى عديد اللغات من بينها اللغة العربية، ويظهر شكل الغلاف في النسختين العربية والإنجليزية مماثلا لبعضه تقريبا:



الصورة 01: تمثل غلاف رواية قواعد العشق الأربعون باللغتين الإنجليزية والعربية

فيتكون الغلاف من مجموعة من الألوان الأساسية: الأحمر والأصفر والفيروزي؛ فالأحمر مرتبط "بالمزاج القوي والشجاعة والنار، وكثيرا ما يرمز إلى العاطفة والرغبة البدائية والنشاط والطموح... [وكذلك] الرغبة والحرقة والعذاب"[11]. فالأحمر هنا يمتزج بين المقدس والمدنس خصوصا مع ما سنراه في الراوية من امتزاج بين هذه الثنائية خصوصا في شخصية البطلة الرئيسية إيلا وفي شمس. ومن جمالياته أيضا أنه "يجمع بين التناقضات فمثلما يدل على الموت الشديد والخيانة والشر والأمراض، يدل أيضا على الحب وعلى معاني الجمال والحياة والإبداع والشجاعة، فهو بذلك يشكل مجالا للصراع... بين المجتمعات مختلفة العقائد والأديان، ولا يجب أن نغفل جمالية أخرى للون الأحمر وهي ارتباطه بالأنثى وهذا يتجلى في كون الكاتبة أنثى و[في] بطلة روايتها"[12]. وتجدر الإشارة إلى أن اللون الأحمر هو اللون الطاغي تقريبا على الغلاف. بينما الأصفر فإنه يجمع بين الضوء والشمس والنفيس، واليأس والاغتراب وأحيانا الأمل والقوة[13]، فكأنه يرمز إلى المقدس، وإلى الأحاسيس والمشاعر التي تعتري شخصيات الرواية.

وأخيرا الفيروزي الذي يجمع بين اللونين الأخضر والأزرق، فالأخضر يحمل دلالات "الوفاء والزهد والإخلاص والورع وترك ما لا يعني، وهو لون من ألوان الجنة"[14]، بينما اللون الأزرق يمثل "الطهر والصفاء والملائكية والسمو والجمال الذي يتجاوز المفهوم الحسي"[15]، واللون الفيروزي يرمز إلى المقدس على الرغم من ظهوره المحتشم في الغلاف.

بينما الشكل العام للغلاف يوحي بزخرفة إسلامية، فكأن اللون الأحمر شكّل ما يشبه المحراب المقلوب، أو نوعا من التيجان، وملتصق في نهايته شكل بداخله منمنمات بها نجمة سداسية، وفي وسطها نجمتين سداسيتي

الشكل، وفي الفضاء الخارجي لهذا المحراب هناك زخارف نباتية متناظرة الألوان والأشكال، فـ"كل هذه الأشكال الزخرفية المتناظرة جعلت الغلاف يختزل في طياته رصيدا ثقافيا ومخزونا معرفيا حافلا بالدلالات المختلفة، إذ تشير تلك الأشكال الهندسية تعالق مجالات الحياة عامة مع مجال الدين والحكم، كذلك تكشف عن صورة المجتمع الشرقي المقهور بانهزام الحضارة الإسلامية وانقلاب محرابها الذي كانت الشمس لا تغيب عنه فأصبحت تعيش صراعا بين الماضي والحاضر..."[16].

فالمقدس إذا؛ هو الأشكال الزخرفية واللون الفيروزي الذي يرمز إلى الإسلام وإلى جماليات لون المساجد الإسلامية العريقة، بينما يدلّ المحراب أيضا إلى شيء من المقدس سرعان ما يتحول إلى مدنس لأنه (منكوس)، والمدنس أيضا هو النجمة السداسية، الذي يحمل وجودها هنا معنى غير بريء خصوصا مع وجود شخصيات وحكايا عن اليهود؛ بالرغم من أن هذه النجمة وجدت في "النقوش المصرية القديمة والهندوكية والصينية وفي نقوش حضارات أمريكا الجنوبية. وكانت أيضا رمز خصب كنعانيا..."[17]

2.2سيميائية عنوان الرواية:

يشكّل العنوان "نظاما سيميائيا ذا أبعاد دلالية، وأخرى رمزية، تغري الباحث بتتبع دلالاته، ومحاولة فك شيفرته الرامزة... [و] هو أول عتبة يمكن أن يطأها الباحث السيميائي قصد استنطاقها واستقرائها بصريا ولسنيا"[18]، ومن العنوان يظهر ارتباط وثيق بينه وبين محتوى الرواية، بل بالثنائية (مقدس/مدنس)، فإذا ذهبنا إلى استقراء كلمات العنوان سيميائيا نجد، أن كلمة قواعد تحمل معنى رياضيا وكأن هناك أسسا وقوانين تحكم مفاتيح العشق، ثم إن العشق كلمة تحمل بعدين: بعد روحاني؛ أين ترتبط "الكلمة بصيغة العشق الإلهي، وهي عند المتصوفة ذروة الحب في العلاقة بين العبد وربه. بعد ماجن؛ حيث قام شارحو العقيدة بتغليط درجة الحب السابعة، إذ العشق لا يوصف به الرب سبحانه، ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلقه بعضهم لأن العشق محبة مع شهوة"[19]. فيجمع العشق بين المقدس والمدنس. أما الكلمة الأخيرة وهي "أربعون" فهذا الرقم يحمل حمولة دلالية كبيرة خصوصا في الفكر الصوفي؛ انطلاقا من الخلوة إلى العمر إلى بعض الشعائر والطقوس، ويعامل كرقم مقدس، وقد برز هذا الرقم أيضا في عمر الشخصية الرئيسية في هذه الراوية كما سنرى لاحقا.

3.تجليات المقدس والمدنس في الرواية: قراءة داخلية

صورة الرومي: جلال الدين الرومي في هذه الرواية هو رجل أنعم الله عليه بالمعرفة والفضيلة والقدرة على مساعدة الآخرين في البحث عن الله، كما أنه خطيب وفقيه وعالم شرع، متزوج مرتين، وله ولدان وفتاة متبناة[20]. بدأ بالبحث عن رفيق ليعلّمه المحبة فكان شمس هو ذلك المعلم، الذي ما إن التقاه حتى اختليا في المكتبة لمدة أربعين يوما، وبعدها بدأت سلسلة من الاختبارات التي تريد أن تنميه روحيا، فتغير عما كان عليه تماما "كان أبي رجلا مفعما بالحب، يحتضن أشخاصا من جميع المذاهب والأديان. فلم يكن رقيقا تجاه المسلمين فحسب، بل تجاه المسيحيين واليهود أيضا، بل وحتى تجاه الوثنيين. وبعد أن دخل شمس في حياته اتسعت دائرة الحب لديه وشملت الأشخاص الأكثر سقوطا في المجتمع، المومسات والسكارى والمتسولين، أي حثالة الحثالة"[21]. فالرومي يمثل صورة المقدس المطلق، صورة الحب المطلق.

صورة شمس التبريزي: هذه الشخصية المتناقضة غير المفهومة تصرفاتها، وكأنه روح حرة متعالية عن جميع القيود المجتمعية وحتى الدينية، فجمعت بين المقدس والمدنس. وقد ابتدأت أعجوبة هذه الشخصية منذ الصغر؛ أين كان يرى رؤى ويسمع أصواتا وكان يكلّم الله، وكان يرد عليه، كما كان له ملاك حارس يراه كل يوم، ولأنه لم يصدقه أي أحد من والده أو أصدقائه أو جيرانه، فقد غادر البيت، وصار منذ ذلك الوقت درويشا رحالا[22]، ولأنّه وصل إلى عمر أراد فيه أن ينقل ما تعلّمه لا إلى تلميذ أو أستاذ، بل إلى رفيق، فقد دعا مخاطبا الله: "يا الله... لقد أمضيت حياتي وأنا أطوف في أرجاء العالم، وتبعت صراطك؛ ورأيت الجميع مثل كتاب مفتوح، قرآنا متنقلا. وابتعدت عن أبراج العلماء العاجية، وفضلت قضاء وقتي مع المنبوذين والمهرجين والمنفيين. لقد امتلأت بكل ذلك، لذلك ساعدني على أن أنقل حكمتك إلى الشخص المناسب، وبعدها افعل بي ما شئت"[23]. بالإضافة لهذا فقد كان شمس مفسرا للأحلام وقارئا لليد[24]، وله أربعون قاعدة ترتفع بالإنسان من قالبه المادي إلى المعنوي السائل دون التفات لأي شريعة، فـ"الشريعة كالشمعة، توفر لنا نورا لا يقدّر بثمن. لكن يجب ألا ننسى أن الشمعة تساعدنا على الانتقال من مكان إلى آخر في الظلام، وإذا نسينا إلى أين نحن ذاهبون، وركزنا على الشمعة، فما النفع من ذلك؟"[25].

صورة عالم الدين المسلم: وهي صورة سلبية مدنسة، فقد نسبت له إليف ازدراء العلم ووصمته بروح الانغلاق والاستبداد، وقد مثلته بشخصيتين؛ "كبار القضاة" و"الشيخ ياسين". الأول يكره الصوفية، وهو ذو نفوذ عال، ومحب للمظاهر، وبدين، ويبدو أن تصويره بالبدانة ليس اعتباطا، فدلالة البدين الظاهرية أنه

يأكل كثيرا، ودلالته الباطنية أنه يأكل حقوق الناس أيضا "بقرار منه يستطيع إرسال رجل إلى المشنقة، أو العفو بسهولة عن مجرم، ويخرجه من أشدّ الزنزانات ظلمة"[26]. فهو يعيش النفاق، فهو من جهة يدّعي أنه يطبق ما جاء به الإسلام، ومن جهة أخرى فهو لا يطبّقه على نفسه. والثاني إنسان متعصّب يروّج الإشاعات والفتن عن شمس وعن الرومي "لما كان الرومي متزوجا من امرأة مسيحية، ولما كان شديد الطيبة والتسامح مع الأقليات، فهو رجل لا يمكن الوثوق به في نظري، فعندما أقام شمس التبريزي في بيته، انحرف تماما عن الطريق المستقيم. وكما أقول لتلاميذي كل يوم، يجب أن يتيقظوا من أحابيل الشيطان. لأن شمسا هو الشيطان بعينه"[27].

صورة اليهود: لا يخفى اهتمام إليف بهم، فقد تعمّدت أن تختار أسماء يهودية لشخصياتها الرئيسية مثل: "دفيد" زوج "إيلا" التي هي أصلا يهودية غير متدينة، فالأسماء ليست بريئة بل هي مرتبطة ارتباطا وثيقا بثقافة أو ديانة أو لغة أو دلالة معينة[28]. وفي روايتها نفسها فإنها تسرد قصتين تحدثان في زمنين مختلفين، إيلا وعائلتها، وزاهار وروايته "الكفر الحلو"، فعائلة إيلا يهودية وإن كانت غير متدينة لكنها عارضت زواج ابنتهم "جانيت" من صديقها "سكوت" لكونه غير يهودي "هل هذا كله لأن سكوت ليس يهوديا... هل يمكنك أن تنظري في عينيّ مباشرة، وتقولي لي أنك كنت ستعترضين لو كان سكوت شابا يهوديا اسمه هارون؟"[29]، وكان ردّ الأم أن خلفية الإنسان مهمة "الزواج من شخص ينتمي إلى خلفية مختلفة مقامرة كبيرة، وأنا وأبوك نريد أن نتأكد من أنك اخترت الرجل المناسب"[30].

لكن العجيب الآخر هو تصوير إليف لإيلا بأنها امرأة في الأربعين من عمرها[31]، أي أنها امرأة مكتملة النضج الفكري؛ فهذه المرأة محبة لأولادها وحياتها الأسرية وإن صارت لا تحمل أي مشاعر لزوجها لكنها مستمرة في زواجها من أجل أولادها، كما أنها "شخصية مفكّرة غير واقعة تحت تأثير خارجي، فهي امرأة في سن الأربعين، وهذا السن هو الذي دفع البطلة للتمعن، أي أنها محقة مسبقا فيما ستفعله من نظر الكاتبة... وهي تمهيد لذهن القارئ لتلقي الحدث التالي على أنه هو الصواب الذي ينبغي فعله، فقد قامت في نهاية الرواية لا بالإشارة إليها، إنما إلى القصة الموازية لها حيث أوضحت أنه لم يحدث أي تغيير بعد وفاة شمس التبريزي غير حزن مولانا وانغلاقه على نفسه، إلا أنها قررت ألا تعود لحياتها القديمة وأن تحيا حياة العشق، وذلك بعد وفاة مرشدها في الرواية وهو عزيز زاخارا. لكن الأهم من ذلك هي أن الكاتبة جعلت بطلتها إيلا أكثر إيجابية من مولانا، حيث لم تنغلق على ذاتها، إنما انفتحت على العالم أكثر من ذي قبل"[32]. أي

أن هذه المرأة اليهودية المنغلقة التي كانت تقف في وجه زواج ابنتها من شخص غير يهودي لكنها تحبه، أصبحت من أنصار العشق، ولأجله أصبحت شجاعة وتحررت وتركت أسرتها، للعيش من أجل نفسها وهدفها السامي الجديد، بل إنها في حد ذاتها لم تمانع ارتباطها بعزيز المسلم في نهاية الأمر، وكأن الحب وحده هو من وحّد القلوب لا الأديان واختلافها[33]، وهذه نظرة نسوية حاولت إليف تمريرها من أجل إعادة تعريف الأدوار الجندرية استنادا إلى سعادة الفرد ومعايير المساواة[34]. فإذا؛ جمعت إليف بين الإسلام واليهودية عن طريق العشق.

صورة المثلي: توجد إشارة في الرواية إلى خنثى "امرأة بدينة، مزدانة بالجواهر، فارعة الطول... وكان لها شارب رفيع أسود وسالفان سميكان. ومضت فترة من الوقت قبل أن أدرك أنها رجل وامرأة في آن معا"[35] وتدير دار بغاء في قونية، وقد طردت شمس عندما ظنت أنه قادم لدخول ذلك المكان قائلة "مع أن الناس يعتقدون بأنني ألغ في الإثم هنا، فإني أتصدّق وأوصد أبوابي في شهر رمضان. والآن، أريد أن أنقذك. هيا ابتعد عنا. فهذا أقذر ركن في المدينة... لو تركتك تدخل، لهدم الله هذا المكان على رؤوسنا ولعننا لأننا أغوينا مؤمنا"[36]. فكأنها مدنسة لكنها تحمل بعض الطيبة والمبادئ.

ولم يكن هذا ذكر إليف الوحيد للمثليين، بل جاءت على ذكر واحدة منهم حينما تحدّثت عن مارغو زوجة عزيز التي كان يحبها حبا جما "بوهيمية، مثالية، راديكالية، تعاشر الجنسين، يسارية، فوضوية، متعددة الثقافات، مناصرة لحقوق الإنسان، وناشطة مناوئة للثقافة السائدة، ونسوية مناصرة للبيئة"[37].

صورة المومس: وهي صورة تحمل تعاطفا كبيرا معها، فبالرغم من الظروف القاسية –التي لم يكن لها يد فيها– التي قادتها إلى المبغى المدنس إلا أن قلبها مقدس. هذه الفتاة تدعى "وردة الصحراء" تنبأ شمس أول مرة رآها فيها أنها لن تمكث طويلا في المبغى "إن تلك الفتاة طيبة. ستنطلق ذات يوم في رحلة روحية بحثا عن الله. إنها ستهجر هذا المكان ولن تعود إليه أبدا"[38]. كانت فتاة عاشقة للورد وكانت تشبهه بالإيمان "إنني أعتبر الإيمان بهذه الطريقة، مثل بستان فيه ورود مخفية كنت أطوف فيه ذات يوم وأستنشق الروائح العطرة التي تعبق منه، لكن لم يعد بإمكاني أن أدخله. أريد أن يعود الله صديقا لي كما كان ذات مرة، وبهذا الشوق أدور حول تلك الحديقة، أبحث عن مدخل، لعلي أجد بوابة تمكنني من الدخول"[39].

وكان يدور في خلدها تعجبٌ من الناس، لأن يرثون حال البغايا وفي نفس الوقت لا يريدون لهن أن يتبن، ويكرهون رؤيتهن ويريدون منهن أن يبقين في ذلك المكان، لكنها مصممة على ترك هذا المكان في

يوم ما. وبعد رحيل شمس في أول يوم زار فيه المبغى فقد استأذنت من مالكته أن تذهب إلى السوق، لأنها كانت تنوي حضور خطبة الرومي[40]. وعندما تنكرت بزي الرجال ودخلت المسجد، أُكتشف أمرها وسيقت إلى الخارج وكادت أن تقتل، ولولا تدخل شمس لما تمكنت من الهروب، وعندما وصلت إلى السوق أحسّت بحزن شديد "لقد عانيت في حياتي من أشياء أشد صعوبة، لكني مع ذلك أشكّ في أن شعورا بالحزن قد انتابني كما الآن. فبعد سنوات من التردد، اقتربت اليوم خطوة باتجاه الله، وكيف أجاب على تقربي منه؟ بركلي وطردي من بيته"[41]. لكن شمس كان هناك أيضا، وتجاذب معها أطراف الحوار مطمئنا إياها ومذكرا إياها بنقائها الذي كان يوما مشجعا إياها على الهرب "عندما قال ذلك، أخرج منديلا حريريا من جيب عباءته، وقال: "احتفظي به. لقد أعطاني إياه رجل طيب من بغداد، لكنك بحاجة إليه أكثر مني. إنه سيذكّرك بأن قلبك نقي وأنك تحملين الله في داخلك"[42].

صورة السكران: تطالعنا قصة سليمان رجل مسلم معاقر للخمر في خانة مسيحي متدين! وأرجع سليمان سبب معاقرته للخمر بأنه إنسان، ولا يفهم "لماذا حرّم الله الخمر في هذه الدنيا، ووعد بها في الجنة. فإذا كانت سيئة إلى هذه الدرجة كما يدّعون، فلماذا تقدّم لهم في الجنة؟"[43]، وعندما خرج ليلا من الحانة قاصدا بيته صادف حارسَين، وأخذ جلدة من السوط لأن شُرب الخمر من الكبائر، ولهول ما فجعه أن يتعرّض للضرب من طرف شاب في مثل عمر ابنه فقد قال: "هيا عاقبني... لو كانت جنة الله مخصصة لأمثالك، لفضّلت أن أحترق في نار جهنم"[44]. وتعرّض للضرب المبرّح على يد أحد الحارسين، وبقي مستلقيا يئن على الأرض من شدة الألم حتى جاءه شمس وأعانه بعد أن مسح الدم الذي كان على وجهه وقدّم له مرهما قائلا: "إنك تعرف أن الجرح في داخلك أعمق، وهو ما يجب أن تقلق منه. إنه سيذكرك بأنك تحمل الله في داخلك"[45]. ثم حمله وأخذه إلى بيته، وختم حديثه بأن قال "عندما يدخل عاشق حقيقي لله إلى حانة، فإنها تصبح غرفة صلاته، لكن عندما يدخل شارب الخمر إلى الغرفة نفسها، فإنها تصبح خمارته. ففي كلّ شيء نفعله، قلوبنا هي المهمة، لا مظاهرنا الخارجية"[46].

صورة القاتل: تقابلنا في الرواية حكاية لقاتل مأجور لا يعرف الرحمة كان يعمل في مبغى ويطارد العاهرات والزبائن على حد سواء إن أساء أحدهم التصرّف، إلا أن هذا القاتل أمره عجيب إذ هو من جهة يقول: "كنت أنفذ الأعمال القذرة لصالح الآخرين. حتى الله أدرك الحاجة إلى شخص مثلي في خطته المقدّسة عندما عيّن عزرائيل، ملاك الموت، لإنهاء حياة الناس. وهكذا يخاف الناس الملاك ويلعنونه ويمقتونه، بينما

تظل يدا الله نظيفتين، ويظل اسمه نقيا. وفي ذلك جور على هذا الملاك. لكن للمرة الثانية أقول إن العالم كله يسوده الظلم، أليس كذلك؟"[47]، ومن جهة أخرى يقول: "لقد قتلت جميع أنواع البشر، صغارا وكبارا، رجالا ونساء، لكنني لم أقتل قط درويشا، رجلا مؤمنا. فأنا أؤمن بالخرافات ولم أكن أرغب في أن أجلب علي غضب الله، لأنني على الرغم من كلّ شيء، أؤمن به"[48].

فقد حاولت إليف في هذه الرواية أن تعطي صورة غير نمطية لما نراه حولنا، خصوصا المنبوذين والأقليات غير الملتفت إليها، لذلك فقد أعطت الشخصيات التي تبدو لنا سلبية قلبا طاهرا مقدسا يبحث عن الحقيقة وعن العشق، وأما الشخصيات التي تبدو لنا ظاهريا على نوع من الصلاح فإنها تحمل باطنا مدنسا.

خاتمة:

بعد الإجابة عن الإشكالية وتحقيق الأهداف المسطرة، فقد رأينا كيف وظفت إليف نظرتها إلى التصوف في روايتها التي حملت نوعا من الترجمة الأدبية والخيالية لأعظم شخصية صوفية عالمية وهي شخصية جلال الدين الرومي وشمس الدين التبريزي، حيث دارت الراوية بداية من عنوانها وغلافها وشخصياتها في فلك المقدس والمدنس لتنسج توليفة غير تقليدية بين الصور التي نعرفها والتي لا نعرفها، حيث يبدو الظاهر غير مساو للباطن؛ فقد يكون الظاهر مقدسا لكنه مدنس باطنا والعكس. كما يمكننا الخروج بالنتائج الآتية:

- نظرة إليف إلى التصوف نظرة حرة تتجاوز الشرائع والقيود إلى الحب الجامع بين المتناقضات وهذا الذي برز من خلال شخصيات روايتها.
- يبرز بُعد المقدس والمدنس من الشكل الخارجي للرواية (الغلاف والعنوان)، حيث تتمازج هذه الثنائية من خلال الألوان والأشكال، ثم من خلال المعاني التي تحملها كلمة العشق.
- يصعب تحديد المقدس والمدنس في رواية قواعد العشق الأربعين بشكل مباشر وصريح لأنه يتماهى مع الشخصيات، فتتراوح بين هذين الثنائيتين.
- أعطت إليف نظرة غير تقليدية إلى المقدس والمدنس من خلال التركيز على الباطن بدل الظاهر، وهذا هو المهم عندها وفي فكرها الصوفي.

وفي الأخير، يمكننا الخروج بتوصية واقتراح وحيد لهذا البحث، قد يفتح آفاقا لمزيد من التدارس، وهو إذا كانت هذه نظرة إليه إلى التصوف الحر، وإلى الاكتفاء بالتركيز على الباطن والقلب بدل الظاهر، فكيف يمكن النظر إلى ثنائية (الخير والشر) من خلال أعمالها ورواياتها؟

الهوامش والإحالات

[1] Danielle V. Schoon and Melinda McClimans, Windows into Turkish Culture, THE OHIO STATE UNIVERSITY, 2018, p: 52-54.

[2]إليف شافاك، بنات حواء الثلاث، تر: محمد درويش، دار الآداب، ط1، بيروت، 2017، ص: 8.

[3]سالي شبل، إليف شافاق: عندما تصوّفت فُتحت لي نافذة جديدة، مجلة الدوحة: https://www.dohamagazine.qa/%D8%A5%D9%84%D9%8A%D9%81-%D8%B4%D8%A7%D9%81%D8%A7%D9%82-%D8%B9%D9%86%D8%AF%D9%85%D8%A7-%D8%AA%D8%B5%D9%88%D9%8E%D9%91%D9%81%D8%AA-%D9%81%D9%8F%D8%AA%D9%90%D8%AD%D9%8E%D8%AA%D9%92-%D9%84%D9%8A-%D9%86/، تاريخ النشر: 2019/09/30، تاريخ الاطلاع: 2025/07/06.

[4]ألف شفق، حليب أسود، تر: أحمد العلي، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2016، ص: 184.

[5]عدنان نعوف، إليف شفق أعلنتها: أنا مزدوجة الميول الجنسية.. فضجّت تركيا، https://www.almodon.com/media/2017/10/24/%D9%83%D8%A7%D8%AA%D8%A8%D8%A9-%D9%82%D9%88%D8%A7%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B4%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%B9%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%A8%D8%B1%D8%A9-%D9%84%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A3%D9%8A%D8%B6%D8%A7، تاريخ النشر: 2017/10/27، تاريخ الاطلاع: 2025/07/06.

[6] Elif Shafak, The revolutionary power of diverse thought, https://www.ted.com/talks/elif_shafak_the_revolutionary_power_of_diverse_thought, published: 09/2017, seen: 06/07/2025.

[7] O'Brien, Kiera. "LGBTQ+ authored Top 20." The Bookseller, April 14, 2023, 7. Gale Literature Resource Center (accessed June 15, 2025). https://link.gale.com/apps/doc/A748991735/LitRC?u=anon~98660ba4&sid=googleScholar&xid=5ca68966

[8]ألف شفق، حليب أسود، المصدر السابق، ص: 326-327.

[9] Gray, B. "Rumi, Sufi Spirituality and the teacher–disciple Relationship in Elif Shafak's The Forty Rules of Love". Scripta Instituti Donneriani Aboensis, vol. 29, no. 1, June 2020, p: 126, doi:10.30674/scripta.84280.

[10]سعد داحس ناصر، ضدية اليوتوبيا والديستوبيا _قراءة في رواية: (قواعد العشق الأربعون) لإليف شافاق_، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العراق، مجلد 1، عدد 44، 2022، ص: 79.

[11]رضا زواري، سيمياء اللون في ديوان صحوة الغيم لعبد الله العشي، مجلة منتدى الأستاذ، الجزائر، مجلد 19، عدد 1. 2023، ص: 417.

[12]فاطمة بوساحة، سيليا بوسعيد، الجماليات الثقافية في رواية "قواعد العشق الأربعون" لإليف شافاق (مذكرة ماستر)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2019-2020، ص: 33.

[13]المرجع السابق، ص: 418.

[14]نجاح أوكالي، البعد الصوفي في دلالة الألوان عند الشاعر عبد الله العشي ديوان مقام البوح –أنموذجا–، حوليات الآداب واللغات، الجزائر، مجلد 5، عدد 10، 2018، ص: 354.

[15]المرجع نفسه، ص: 355.

[16]فاطمة بوساحة، سيليا بوسعيد، الجماليات الثقافية في رواية "قواعد العشق الأربعون" لإليف شافاق، المرجع السابق، ص: 22.

[17]عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد، دار الشروق، ط1، القاهرة-بيروت، 1999، المجلد 3، ص: 224.

[18]بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان، مكتبة كتانة، ط1، عمان، 2001، ص: 33.

[19]نادية سلطان، حليمة عواج، جدلية المقدس والمدنس في رواية "العشق المقدنس" لعز الدين جلاوجي، مجلة الآداب، الجزائر، مجلد 22، عدد 1، 2022، ص: 312.

[20]إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون (رواية عن جلال الدين الرومي)، تر: خالد الجبيلي، طوى للثقافة والنشر والإعلام، ط1، لندن، 2012، ص: 145-146.

[21]المصدر نفسه، ص: 485.

[22]المصدر نفسه، ص: 58-60.

[23]المصدر نفسه، ص: 62.

[24]المصدر نفسه، ص: 50.

[25]المصدر نفسه، ص: 76.

[26]المصدر نفسه، ص: 70-71.

[27]المصدر نفسه، ص: 364-365.

[28]عادل صياد، مضمرات النسق الإثني وتجليات الصراع في رواية "قواعد العشق الأربعون" لـ"إليف شافاق"، مجلة التحبير، الجزائر، مجلد: 3، عدد 2، 2021، ص: 97-98.

[29]المصدر السابق، ص: 17.

[30]المصدر نفسه، ص: 18.

[31]المصدر نفسه، ص: 7.

[32]أحمد مراد محمود الدسوقي، صورة اليهود في الرواية التركية المعاصرة روايتا "العشق" Aşk لأليف شفق و"بشق الأنفس" Nefes Nefese لعائشة كولين أنموذجا، رسالة المشرق، القاهرة، مجلد 34، عدد 2، 2019، ص: 169.

[33]نعيمة طالبي، كاتية أوقاشة، جماليات الخطاب الصوفي في رواية "قواعد العشق الأربعون" لإليف شافاق (مذكرة ماستر)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، 2019-2020، ص: 35.

[34] Zacharia, Anu, and T. Senthamarai. "Gender Roles in Turkish Society: A Journey through Elif Shafak's Honour and The Forty Rules of Love." International Journal of English Literature and Social Sciences 8.3 (2023), p: 227.

[35]إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون، المصدر السابق، ص: 161.

[36]المصدر نفسه، ص: 162-163.

[37]المصدر نفسه، ص: 312.

[38]المصدر نفسه، ص: 163.

[39]المصدر نفسه، ص: 178.

[40]المصدر نفسه، ص: 170.

[41]المصدر نفسه، ص: 198.

[42]المصدر نفسه، ص: 201.

[43]المصدر نفسه، ص: 188.

[44]المصدر نفسه، ص: 205.

[45]المصدر نفسه، ص: 207.

[46]المصدر نفسه، ص: 209.

[47]المصدر نفسه، ص: 36.

[48]المصدر نفسه، ص: 38.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1. ألف شفق، حليب أسود، تر: أحمد العلي، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2016.
2. إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون (رواية عن جلال الدين الرومي)، تر: خالد الجبيلي، طوى للثقافة والنشر والإعلام، ط1، لندن، 2012.
3. إليف شافاك، بنات حواء الثلاث، تر: محمد درويش، دار الآداب، ط1، بيروت، 2017.
4. بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان، مكتبة كتانة، ط1، عمان، 2001.

5. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد، دار الشروق، ط1، القاهرة–بيروت، 1999، المجلد 3.

المجلات:

6. أحمد مراد محمود الدسوقي، صورة اليهود في الرواية التركية المعاصرة روايتا "العشق" Aşk لأليف شفق و"بشق الأنفس" Nefes Nefese لعائشة كولين أنموذجا، رسالة المشرق، القاهرة، مجلد 34، عدد 2، 2019.

7. رضا زواري، سيمياء اللون في ديوان صحوة الغيم لعبد الله العشي، مجلة منتدى الأستاذ، الجزائر، مجلد 19، عدد 1. 2023.

8. سعد داحس ناصر، ضدية اليوتوبيا والديستوبيا _قراءة في رواية: (قواعد العشق الأربعون) لإليف شافاق_، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العراق، مجلد 1، عدد 44، 2022.

9. عادل صياد، مضمرات النسق الإثني وتجليات الصراع في رواية "قواعد العشق الأربعون" لـ"إليف شافاق"، مجلة التحبير، الجزائر، مجلد: 3، عدد 2، 2021.

10. نادية سلطان، حليمة عواج، جدلية المقدس والمدنس في رواية "العشق المقدنس" لعز الدين جلاوجي، مجلة الآداب، الجزائر، مجلد 22، عدد 1، 2022.

11. نجاح أوكالي، البعد الصوفي في دلالة الألوان عند الشاعر عبد الله العشي ديوان مقام البوح –أنموذجا–، حوليات الآداب واللغات، الجزائر، مجلد 5، عدد 10، 2018.

12. Danielle V. Schoon and Melinda McClimans, Windows into Turkish Culture, THE OHIO STATE UNIVERSITY, 2018.

13. Gray, B. "Rumi, Sufi Spirituality and the teacher–disciple Relationship in Elif Shafak's The Forty Rules of Love". Scripta Instituti Donneriani Aboensis, vol. 29, no. 1, June 2020, doi:10.30674/scripta.84280.

14. Zacharia, Anu, and T. Senthamarai. "Gender Roles in Turkish Society: A Journey through Elif Shafak's Honour and The Forty Rules of Love." International Journal of English Literature and Social Sciences 8.3 (2023).

المذكرات:

15. فاطمة بوساحة، سيليا بوسعيد، الجماليات الثقافية في رواية "قواعد العشق الأربعون" لإليف شافاق (مذكرة ماستر)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2019–2020.

16. نعيمة طالبي، كاتية أوقاشة، جماليات الخطاب الصوفي في رواية "قواعد العشق الأربعون" لإليف شافاق (مذكرة ماستر)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، 2019–2020.

المواقع الإلكترونية

17. سالي شبل، إليف شافاق: عندما تصوّفت فُتحت لي نافذة جديدة، مجلة الدوحة:
https://www.dohamagazine.qa/%D8%A5%D9%84%D9%8A%D9%81-%D8%B4%D8%A7%D9%81%D8%A7%D9%82-%D8%B9%D9%86%D8%AF%D9%85%D8%A7-%D8%AA%D8%B5%D9%88%D9%8E%D9%91%D9%81%D8%AA-%D9%81%D9%8F%D8%AA%D9%90%D8%AD%D9%8E%D8%AA%D9%92-%D9%84%D9%8A-%D9%86/، تاريخ النشر: 2019/09/30، تاريخ الاطلاع: 2025/07/06.

18. عدنان نعوف، إليف شفق أعلنتها: أنا مزدوجة الميول الجنسية.. فضجّت تركيا،
https://www.almodon.com/media/2017/10/24/%D9%83%D8%A7%D8%AA%D8%A8%D8%A9-%D9%82%D9%88%D8%A7%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B4%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%B9%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%A8%D8%B1%D8%A9-%D9%84%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A3%D9%8A%D8%B6%D8%A7، تاريخ النشر: 2017/10/27، تاريخ الاطلاع: 2025/07/06.

19. Elif Shafak, The revolutionary power of diverse thought, https://www.ted.com/talks/elif_shafak_the_revolutionary_power_of_diverse_thought, published: 09/2017, seen: 06/07/2025.

20. O'Brien, Kiera. "LGBTQ+ authored Top 20." The Bookseller, April 14, 2023, 7. Gale Literature Resource Center (accessed June 15, 2025). https://link.gale.com/apps/doc/A748991735/LitRC?u=anon~98660ba4&sid=googleScholar&xid=5ca68966